هوية الخطاب السياسي العراقي بعد٢٠٠٣
ودور المرجعية الدينية في توحيد الصف الوطني

د.علي حسين كاظم العصامي[□]

مقدمة

لقد شكلت مرحلة ما بعد سقوط النظام السياسي في بغداد عام ٢٠٠٣ مرحلة مصيرية في تأريخ العراق المعاصر اذ وقع على عاتق القائمين على العملية السياسية مهمة ايجاد نظام سياسي ديمقراطي جديد في ظل بيئة تعج بالتعقيدات الاقتصادية والاجتماعية والامنية وعلى المستويين الداخلي والخارجي فتفاقمت المشكلات وتوالت الازمات لتنفجر مع منتصف عام ٢٠١٤ على اثر ازمة سقوط ثلاثة محافظات بيد الارهاب من هنا تولدت اهمية مراجعة الاسباب الكامنة وراء تراكم هذا الكم الهائل من الازمات والمشاكل وهنا برزت اهمية دراسة هوية الخطاب السياسي العراقي بعد ٢٠٠٣ودور المرجعية الدينية في توحيد الصف الوطني لذا فإننا من خلال هذه الورقة سنحاول الاجابة على التساؤلات الاتية:

١- ماعلاقة الهوية بالخطاب السياسي؟وكيف تطورالخطاب السياسي في العراق بعد ٢٠٠٣؟

٢- ما علاقة الخطاب السياسي في العراق ببروز ازمة الهوية ؟

٣- ماهو دور المرجعية الدينية في تعزيز الهوية الوطنية؟

□كلية الامام الكاظم (ع) قسم العلوم السياسية.

١-١ مفهوم الخطاب السياسي

يوصف كل استعمال للغة **language** لغرض التخاطب بأنه أداء كلامي **performance** ، و بأنه خطاب **discourse**، و بأنه نوع من السلوك اللفظي **verbal behavior**. وهو في كـــل الأحوال يهدف إلى تحقيق التواصل **communication** بين منتج الكلام و مستقبله سواء عبر الكلام أو الكتابة[١].

فالخطاب وسيلة من وسائل التواصل البشري في مختلف المجالات وظيفتها الأساسية التواصل ولابد لتحقيق هذه المهمة من تأثر وتأثير عند استخدام اللغة لاكمال عملية التخاطب. لذا ينقل عن الامام علي بن ابي طالب (ع) قوله الرجال صناديق مغلقة مفاتيحها الكلام ولسقراط قوله (تكلم حتى اراك) وعليه فالكلام يعبر عن هوية المتكلم و هوجواز العبور لقلوب المستمعين.وبالتالي قد تختلف اللغة في خطاباتنا حسب المشكلة او الموضوع الذي نريد ان نطرحه او نرسله الى الآخرين،فالجوهر المادي هو الذي يحدد رسم الخطاب (مادة الخطاب) ليحدد بعدها نوعية الخطاب[٢] ثوري ،منهجي ،تربوي ،نفسي ،سياسي ،شعري ،نثري ، ثقافي...الخ. فالخطاب السياسي بهذا المعنى أداة من أدوات التواصل التي تستخدم للتعبير عن المشاريع والرؤى والتوجهات والمواقف وتحاول التاثير في سلوك ورؤى وتوجهات الاخرين كما انها قد تتأثر بسلوك ومواقف الاخرين .

١-٢ أنواع الخطاب السياسي

يتألف الخطاب السياسي من ثلاثة عناصر رئيسية وهي (الخطيب) موجه الرسالة ، (الرسالة) الكلام والافكار اوالنصوص المراد ايصالها ،(الجمهور) المتلقي الذي ينبغي إيصال الرسالة له . فهي تعمل كمدخلالت للنظام من جهة كما وقد تكون التغذية

---

[١] باقر جاسم محمد ،الخطاب السياسي واللغة العادية، الحوار المتمدن ،العدد ١٤٦٨ – ٢٠٠٦ / ٢ / ٢١ منشور على الرابط:http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=57790

[٢] عيسى عودة برهومة ،تمثلات اللغة فيالخطاب السياسي ،عالم الفكر، العدد١ المجلد ٣٦،عمان، سبتمبر ٢٠٠٧،ص١٢٨.

العكسية التي تغذي النظاماو المنظومة الفكرية بردود الأفعال تجاه مختلف القضايا ويمكن تقسيم الخطاب السياسي الى ثلاثة أنواع رئيسية[٣]:

١- الخطاب السياسي الأكاديمي التعليمي: ويشمل هذا النوع على المؤلفات الاكاديمية والمساهمات البحثية السياسية التعليمية منهجا ومعلومة، وهي أدبيات تسعى لايصال المعلومة (بتجرد) مترهةافتراضاعن كل غرض او ميول سياسية، لكن ذلك لا يستبعد تواري الغرض في منهج التعريففالقول مثلا إن "كارل ماركس يهودي" يبدو في مظهره قولا تعريفيا، لكنه يواري ظلالا للمتلقي العربي أوسع كثيرا من ظلال المتلقي غير العربي.

٢-الخطاب السياسي الجماهيري: وهو نص تحريضي، دعائي يرتبط في الغالب الأعم بالمناسبات والأزمات، ويأخذ شكل الخبر السياسي أو النص المتكامل أو الشعار أو الأغنية أوحتى الطرفة.

٣- الخطاب التنظيري الآيديولوجي: وهو الخطاب الذي يبدعه مفكرون أو تيارات فكرية تتواصل في تشييد هذا البناء عبر مراحل تاريخية، وتروجه وتتبناه المنظمات السياسية كالأحزاب وجماعات الضغط وجماعات المصالح، ويبدو هذا الخطاب كنص مبني بعناية، يبرهن على صحة مقولاته بقدر من المقدمات والنتائج المنطقية من وجهة نظر صاحبه.

وبالتالي فان هنالك أربعة استراتيجيات للوصول الى خطاب سياسي فعال[٤]:

ا- القدرة على تبليغ الرسالة :

تتجسد هذه القدرة على تبليغ الرسالة التي تتبناها مختلف الجهات السياسية في مرحلة الخطاب الى الجماهيروبالتالي فهي تعمل على استخدام التأريخ والتعبيرات المألوفة اذيعد اسلوب استخدام التاريخ من بين التقنيات المعتمدة لتوضيح الافكار المحورية في سياق

---

[٣]وليد عبد الحي ،لغة الخطاب السياسي المشكلة والحل ،جامعة اليرموك ،المحاظرة 15،٢١تشرين الثاني ٢٠١٣ منشورة على الرابط www.majma.org.jo/res/seasons/31/31-14.doc:

[٤]ايناس ضياء مهدي ،تحليل القوى الاستراتيجية المؤثرة للخطاب السياسي دراسة حالة الخطب السياسية لبراك أوباما، مجلة الأستاذ ،العدد٢٠٠ ، كلية التربية / أبن رشد للعلوم الإنسانية،بغداد ٢٠١٢ ص٩٠٣.

تاريخ يصبح الجمهور اكثر قدرة على استساغة وهضم تلك الافكار لانها وصفت في سياق يفهمه المستمعون.كما ان الاستخدام المتميز للكلمات الوصفية يعد من الأدوات المهمة لتبليغ الرسالة فالكلمات التي تلهب المشاعر وتشعل الحماس بالشكل الذي يعطي للخطاب جاذبية ويمنحه اهتماما اكبر .

٢-الاقناع :

تتوقف قوة أي خطاب سياسي على قدرته على إحداث تواصلا ناجحا مع المتلقي ، وهذا لا يتحقق إلا إذا حاز هذا الخطاب على قدر من الرضا الجماهيري من خلال الإقناع والمحاججة، اذ يعد الاقناع محور القيادة الفعالة.

٣-كسب الثقة:

ان قوة الزعماء السياسيين وشعبيتهم المتزايدة تتمثل في ثقة الناس اولا وبرجاحة عقلهم ومن قدراتهم القيادية ومن ايمان الشعب بانهم اهل للزعامة،وعليه فان من المهام التي تقع على عاتق اي شخص يطمح للقيادةهي ان يحضى بثقة من يسعى لقيادتهم وبالتالي فان كسب الثقة تتطلب ان تكون موضوعاته قريبة لنفوس الجمهور ومعبرة عن همومهم.

٤-نقل وجهة النظر الاستراتيجية للجمهور:

ان القدرة على نقل التوجهات السياسية للجماهير هي تعبير عن اتقان القائد السياسي لنقل أهدافه المنشودة من حديثه سواء عن طريق الابلاغ او التاثير ام الاقناع ام التحفي ا زم التوجيه وبذلك تعد هذه الميزة في الخطاب بالغة الاهمية في توصيل المعلومة بفعالية حتى في الاجواء المتوترة وفي حالات الوقت الضيق.

١-٣ الهوية والخطاب السياسي

لكل شيء في الوجود هوية والهوية بشكل عام مجموعة من السمات والخصائص والعلاقات التي تربط مجموعة من العناصر مع بعضها البعض فعندما نريد ان نصف هوية مركب كيميائي على سبيل المثال فاننا نتحدث عن الخصائص التي تميزه عن غيره من جهة وعن الخصائص التي تميز العناصر المكونه له والعلاقات التي تربط بين تلك العناصروبالتالي فان الامر لايختلف كثيرا في العلوم الاجتماعية فتكون هوية مجتمع ما

مجموعة من الخصائص والسمات التي تميز جماعة اجتماعية معينة والروابط التي تربط بين افراد تلك الجماعة .وللهوية أهمية كبرى هذه الأهمية دفعت الكاتب الهندي (امارتيا صن) بأنيفتتح كتابه الهوية والعنف[٥] بالقول " اننا في الواقع نتاثر الى درجة مدهشة بالناس الذين نرى اننا نشترك معهم في هوية واحدة. ان الأحقاد الطائفية يمكنها ان تنتشركالنارفي الهشيم ،كما رأينا في كوسوفو ورواندا وتيمور وإسرائيل وفلسطين والسودان وأماكن كثيرة أخرى في انحاء العالم ومع التحريض المناسب يمكن ان يتحول وعي متعمق منذ النشأة بهوية مشتركة مع جماعة من الناس الى سلاح قوي يوجه بوحشية ضد جماعة أخرى والوقع ان كثير من النزاعات والاعمال الوحشيه تتغذى على وهم هوية متفردة لا اختيار فيها وفن بناء الكراهية يأخذ شكل اثارة القوى السحرية لهوية مزعومة السيادة والهيمنه تحجب كل الانتماءات الأخرى وعندما تعطي هذه الهوية شكلا ملائما ميالا للقتال ، يمكن أيضا ان تهزم أي تعاطف انساني او مشاعر شفقة فطرية قد تكون موجودة في نفوسنا بشكل طبيعي والنتيجة يمكن ان تكون عنفا عارما مصنوعا داخل الوطن او إرهابا وعنفا مراوغا مدبرا على مستوى كوكبي."

من خلال هذا الاقتباس نستطيع ان نوجز الأهمية التي اولاها صن للهوية فهي بهذا المعنى يمكن ان تكون سلاح ذو حدين ،اذ يمكن ان تكون أداة للحروب والصراعات كما انها من الممكن ان تكون رافد للسلم الاجتماعي فالناس بحسب مفهوم صن ليسوا مطلقي الحرية في اختياراتهم بل يتعرضون لتاثير جملة من العوامل التي تؤثر في اختياراتهم لذا تعد التنشئة والتثقيف والولاء والمحاكات والتقمص ...الخ ، احد الروافد التي تؤثر في تشكل الهوية وبهذا المعنى (التأثر والتأثير) يكون للخطاب السياسي دور مهم في تشكل الهويات والولاءات داخل المجتمع كما انه قد يتحول الى أداة تحريضية لاستقطاب الاخرين وبهذا المعنى يمكن ان يكون الخطاب السياسي احدى أدوات التشويش والخداع التي تؤثر في الرأي العام وتحرفه عن مساره الوطني.

---

[٥]امارتيا صن، الهوية والعنف وهم المصير الحتمي ، ترجمة سحر توفيق ، سلسلة عالم المعرفة ٣٥٢،المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، الكويت ،يونيو .٢٠٠٨

وفي نفس السياق يرى (دوركهايم)[٦] انه يوجد بداخلنا كائنان احدهما اجتماعي والأخر فردي اذ يجسد الكائن الاجتماعي أنظمة من المشاعر والعادات التي تعبر ليس عن شخصيتنا الفردية بل عن الجماعة او الجماعات التي ننتمي اليها وتأخذ صيغة العقائد الدينية والمعتقدات الأخلاقية والتقاليد القومية او المهنية والآراء الجمعية . وبالتالي فان ذلك الكائن يشكل عنصرا بنائيا لنواة الهوية الثقافية والجماعية . ويميز دوركهايم بين الكائن الاجتماعي والكائن الفردي بوصفه صيغة تشتمل على خصوصياتنا الفردية مثل سماتنا وطبائعنا ووراثتنا وذكرياتنا والتجارب التي توجد في سياق تاريخنا الشخصي.وعلى هذا الأساس فان الخصوصية الفردية قد تسعى للتأثير في السمات الفردية للاخرين وبالتالي فهي تؤثر في الهوية الجماعية خصوصا اذا ما امتلكت السمات الشخصية المؤهلة للقيام بهذا الدور فالقائد الذي يتسم بنزعة قومية يكون خطابه قومي ويؤثر باتجاه خلق هوية قومية للمجتمع[□].

٢-١ تطور الخطاب السياسي في العراق

منذ استيلاء حزب البعث على مقاليد السلطة في العراق عام ١٩٦٨ وحتى سقوط النظام عام ٢٠٠٣ ارتبط الخطاب السياسي العراقي برؤية واهداف الحزب وتحولت مؤسسات الدولة أدوات لنشر ثقافة الحزب حيث اضحى الخطاب السياسي احد أدوات هيمنة النظام ،من هنا كانت وجهه الإعلامي محددًا واضحًا مسخرًا لخدمة النظام وتجميل صورته عبر قناتين تلفزيونيتين وخمس صحف فقط، فحق الملكية لوسائل الإعلام مملوكة للدولة فقط وهي (جريدة الثورة والجمهورية والعراق والقادسية وبابل) كلها

---

[٦] نقلا عن اليكس ميكشيللي، الهوية ،ترجمة علي وطفة ، اصدار دار النشر الفرنسية ، تنفيذ دار الوسيم للطباعة ،دمشق ١٩٩٣،ص١٠٠.

[□] يمكن ان ترى ذلك واضحا في النزعة القومية لمصطفى كمال اتاتورك واثرها في تشكل الهوية القومية للجمهورية التركية وما سببته من بروز مشكلة الاكراد او الاغتراب الكردي الذي بدى واضح المعالم منذ تأسيس النظام الجمهوري في تركيا وعلى هذه الشاكلة يمكن ان نستشرف امثلة لما قد يؤول اليه واقعنا فيما لو اتيحت الفرصة للبعض ان يلعبوا هكذا دور.للمزيد حول ذلك انظر:محمد نور الدين،تركيا الجمهورية الحائرة مقاربات في الدين و السياسة والعلاقات الخارجية، مركز اتلدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق،بيروت ١٩٩٨،ص٧٢.

موجهة لخطاب النظام[٧]، ولمتر تقل مستوى الفاعلية في إحداث التنمية الشاملة كما كانت تروج وذلكل انشغال الدولة بكل أجهزتها بحر وبعبثية معاير ان لمدة ثماني سنوات وغزو الكويت وحصار دام أكثر من اثني عشر عامًا شوه صورة العراق والعراقيين لأسباب واهية بمواقف ومزايدات عربية وعالمية، لم تستطيع مواجهة الحركة الإعلامية العالمية ولا حتى الدفاع عن مواقف وجهة النظر المتبناة، ولا توازي حجم كبت الحريات العامة وحرية التعبير مما نمى وقوى المعارضة التي وجدت خارج العراق هربًا من بطش النظام وقسوته، حيث شكلوا طبيعة القوى الموجودة الآن في الساحة السياسية العراقية. وبالتالي فان القوى السياسية المعاصرة تأثرت بشكل او بأخر بالخطاب السياسي قبل عام ٢٠٠٣ خصوصا اذا ما علمنا ان هذا الخطاب كان قد اقترن بالسياسات الفعلية لذلك النظام على ارض الواقع فظهرت النزعات القومية المعارضة والطروحات الطائفية كردود فعل لتلك السياسات. ومع سقوط النظام السايسي في العراق عام ٢٠٠٣ بدت معالم التغيير تتجلى في الخطاب السياسي العراقي خصوصا مع الانفتاح في مجال حرية التعبير والاعلام الا انه وبالرغم من هذا التطور لم يستطع الخطاب السياسي الجديد التخلص من رواسب النظام السابق.

ويعود سبب تطور الخطاب السياسي في العراق الى :

١- التحولات السياسية التي شهدتها الساحة السياسية العراقية بعد عام ٢٠٠٣ وما صاحبها من انعتاق من قيود التضييق الإعلامي واتساع نطاق الحريات الصحفية وبالتالي تعدد مصادر الخطاب السياسي ليعبر عن المصالح المختلفة للمشاريع المتنافسة ليبرالي، علماني، إسلامي، قومي ....الخ

٢- دور الخطاب ومامتلكه الكلمة من قوة الى جانب عن اصر القوة الأخرى لكسب تأييد المجتمع من خلال قوة الا قناع لذا فقد عد الخطاب السياسي احدى الأدوات

[٧] شريف عبادة اللبان ، ليث عبادة اللهيبي،التعددية الإعلامية في العراق أداة للوحدة الإعلامية ام وسيلة للصراع، المركز العربي للبحوث والدراسات، القاهرة ٢٠١٤.دراسة منشورة على الرابط : http://www.acrseg.org/6921

الأساسية لتحقيق شرعية السلطة او الترويج لمشروع ما او حتى شرعية المعارضة (الرفض).

٣- الى جانب ألانواع التقليدية لمصادر الترويج الخطابي والمتثلة بالخطب السياسية ومقالات الصحف وبيانات المؤسسات العسكرية والحكومية في القنوات الفضائية ظهرت الى جانبها أنواع جديدة مثل البروموغرافتي والانفوغرافك والبرامج السياسية الحية والبرامج السياسية الساخرة والشعارات واللافتات وتزايد تأثير أنواع أخرى مثل النكت والفكاهة والكاريكاتير والمقابلات الصحفية والتلفزيونية[٨].

٤- الدور الذي اضطلعت به وسائل التواصل الاجتماعي من خلال مقاطع الفديو والرسوم والصور والمقالات القصيرة كأدوات للترويج السياسي وايصال الرسائل المختلفة فاضحت وسائل التواصل الاجتماعي منصات مفتوحة غير محددة بزمان او مكان تصل الى الجميع في كل الأوقات فامتلكت الجهات السياسية باختلاف مسمياتها جيوشا الكترونية استخدمتها في الترويج لمشروعاتها وطروحاتها السياسية منجهة وقياس ردود الأفعال منجهة أخرى.

٢-٢ المحاصصة الطائفية وأزمة الهوية في العراق بعد ٢٠٠٣

تتعلق ازمة الهوية بتكوين شعور مشترك بين افراد المجتمع الواحد بانهم متميزين عن غيرهم من المجتمعات الاخرى اذ يجب ان يتوصل الناس الى اقرار كون أقليمهم هو وطنهم الحقيقي كما يجب ان يشعروا كأفراد بان هويتهم الشخصية محددة بانتمائهم الى بلادهم المحددة اقليميا، وفي معظم الدول الجديدة فان الاشكال التقليدية للهوية تتراوح ما بين العشيرة او الطائفة وبين الجماعات الاثنية واللغوية التي تتنافس مع الشعور بالهوية الوطنية الاوسع[٩]

---

[٨]عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي التأريخ والمناهج والافاق،مجلة البلاغة وتحليل الخطاب العدد ٦،ربيع ٢٠١٥، ص١٢٥.

[٩]صادق الاسود ، علم الاجتماع السياسي اسسه وابعاده ،جامعة بغداد ،كلية العلوم السياسية ١٩٩٠،ص٤١١.

مع سقوط النظام السياسي في العراق في ٢٠٠٣/٤/٧ تشكلت بموجب قرار مجلس الامن المرقم١٤٨٣ في ٢٠٠٣ سلطة الائتلاف المؤقته [١٠] حيث نصت الفقرة الرابعة من هذا القرار على ان تعمل هذه السلطة على الادارة الفعالة للأراضي العراقية واستعادة الامن والاستقرار وتهيئة الضروف التي يمكن للشعب العراقي من خلالها ان يقرر بحرية مستقبله السياسي . بناءعلى هذه المعطيات عمدت سلطة الائتلاف المؤقته لتشكيل مجلس الحكم الانتقالي من ٢٥ عضو يتمتع بصلاحيات جزئية لأدارة شؤون العراق وينتخب رئيسا دوريا له لمدة شهر، أختير اعضاء هذا المجلس على أساس التوازن الطائفي والقومي من المنفيون المعارضون خارج العراق وهم كما يعرفهم بول بريمر[١١] " بانهم رجال عارضوا صدام في الخارج حصلوا على مستويات مختلفة من المساندة من الغرب و الدول العربية المعتدلة من خلال أجهزة المخابرات في العادة ."كان اولائك المنفيون يريدون تثبيت انفسهم بمثابة حكومة بسرعة قبل ان يتقلص نفوذهم في لندن وواشنطن وطهران والرياض مالم تتأت لهم السلطة السياسية على الأرض في العراق، في الوقت نفسه أصدرت سلطة الائتلاف قراران يقضيان بحل الجيش العراقي واجتثاث البعث[١٢] وحيث أن حزب البعث أداة من أدوات تعزيز سلطة النظام السابق اذ أستطاعت المؤسسة الأمنية في العراق أن توظف المجاميع التي انتسبت لحزب البعث الحاكم بفعل وتحت ضغط القانون الذي أصدره صدام (قانون الحزب القائد)، وبالتالي وظفت كل هذه الأعداد ضمن العمل الأمني والمراقبة، فأمرت التنظيم الحزبي بتقسيم المدن والقصبات إلى (بلوكات) ومجموعات من الدور والبيوت والعوائل تتم مراقبتها ورفع التقارير الدورية عنها[١٣].على الرغم من ان هذا القرار كان قد لقي ترحيبا واسعا

---

[١٠]وثيقة اجتماع مجلس الامن رقم ٤٧٦١في ٢٢ايار ٢٠٠٣ ، رابط الوثيقة :https://www.treasury.gov/resource-center/sanctions/Documents/1483.pdf

[١١]بول بريمر و مالكوم ماك – كونل، عام قضيته في العراق النضال لبناء غد مرجو،ترجمة عمر الايوبي ،دار الكتاب العربي ،بيروت ٢٠٠٦،ص٦٠.

[١٢]المصدر نفسه ص ٥٩

[١٣]زهير كاظم عبود ، عن المؤسسة الأمنية التي شيدها النظام المباد (١–٢)،جريدة المدى ،العدد ١١٦ الخميس ٢٠ أيار ٢٠٠٤ ص١٠

من الشيعة والكرد الا ان الامر لم يكن كذلك بالنسبة للسنة، إذ انه حتى عام ٢٠٠٣ لم يكن لدى الجماعة السنية في العراق أي شعور بالهوية الطائفية وكانت القومية العربية هي الهوية المفضلة بالنسبة لهم في الوقت نفسه كانت هذه الهوية هي الأداة المثالية الهيمنة السنية في الأنظمة السابقة بالشكل الذي يحافظ على الوئام الظاهري مع الأغلبية الشيعية.

على عكس الشيعة، لم يكن لدى العرب السُنَّة جماعات سياسية كبيرة خارج حزب البعث، وهكذا أصبحوا يفتقرون، بعد صدام، إلى وجود زعامة فعّالة تمتلك إحساساً واضحاً بالاتجاه وكانوا في الغالب في موقف دفاعي ورافض. حاول معظم العرب السُنَّة أن ينأوا بأنفسهم عن النظام السابق ورفضوا وصفه بأنه سُنّي، إذ لم يكن كل السنة بعثيون مع ذلك فهم نأوا بأنفسهم أيضاً عن الحالة الراهنة. وقد شعر العرب السُنَّة بأن الحكومة التي يهيمن عليها الشيعة استهدفت الجماعات السُنّية اذ كانوا يرون في استهداف البعث استهداف للمكون السنيلانهم كما اسلفنا لم يمتلكوا جماعات سياسية كبيرة خارج البعث وبالتالي ربطوا مستقبلهم السياسي بمستقبل البعث داخل النظام الجديد. وخلال الاستفتاء على الدستور الذي أجري عام ٢٠٠٥، صوّتت كل المناطق التي تقطنها أغلبية سُنّية ضدّ الدستور الجديد، وهو مايعكس الاغتراب العميق الذي يشعر به أهل السُنَّة[١٤].وبالتلي فقد تأثر سنة العراق بالخطاب السياسي الذي كانوا يتلقونه من القنوات الفضائية العربية مما اثر بشكل كبير في عملية تشكل الهوية السنية المعارضة لمرحلة ما بعد صدام[١٥].

---

[١٤]حارث حسن ، الأزمة الطائفية في العراق: إرث من الإقصاء،مركز كارنيغي للشرق الأوسط ٢٣ نيسان ٢٠١٤، دراسة منشورة على الرابط : http://carnegie-mec.org/2014/04/23/ar-pub-55405

[١٥]ويبدوا ذلك واضحا من خلال سؤال مراسل الجزيرة و مراسل ال بي بي سي عربي في المؤتمر الصحفي لاعلان تشكيل مجلس الحكم حول ان مجلس الحكم العوبة بيد الامريكان مما اثار حفيضة السياسيين السنة فرد عدنان الباججي حول سؤال مراسل الجزيرة بالقول ان وسائل الاعلام العربية يمكنها ان تقوم بعمل جيد اذا ما اولت اهتمامها للتغييرات الحقيقية التي تحدث في العراق ما دفع نصير الجادرجي للقول "أقول للاعلام العربي توقفوا عن تقديم النصح الى العراقيين بمحاربة الامريكان " للمزيد انظر: بول بريمر ، مصدر سبق ذكره ،ص١٣٥.

من جهة اخرى فقد تأثر اكراد العراق بعقود من الصراع مع السلطة السياسية كان نتيجتها مجازر دموية ارتكبت بحق الشعب الكردي كالانفال وحلبجة وغيرها ،لقد غذت هذه المجازر الشعور الكردي في الظلم ونَمى الشعور بالانتماء القومي اكثر من غيره باعتبار ان الاعتداءات مورست ضد الكرد بسبب الانتماء القومي ومنذ عام ٢٠٠٣ شدد القادة الكرد من خلال وسائل الاعلام الكردية على المظلومية الكردية لاتخاذها وسيلة لتحقيق مكاسب انتخابية ولضمان عدم ضياع اصوات الكرد في المناطق التي يسكنها الكرد الى جانب قوميات اخرى. مما نتج عنه شعور قومي كردي طاغي لدرجة كبيرة، فلو خير الكردي بين قوميته والعراق، ربما يختار قوميته لأنها الأساس لشخصيته الجديدة، إن الارتباط الكردي مع الوطن في عراق اليوم لا يمثل سوى المصلحة الشخصية (لبعض القادة الكرد) والتي ينالها من الاندماج بالوطن، إذ أننسبة ١٧ % من واردات العراق ، نسبة لايستهان بها أبدا، تساعدالإقليم كثيرا في التنمية والتيقد يسعى الاقليم للحصول عليها من اجل توفير متطلبات بناء الدولة الكردية المستقبلية[١٦]وقد اتضحت تجليات ذلك في استفتاء ٢٥ ايلول ٢٠١٧ .

اما شيعة العراق المكون الذي يوصف بانه الاكبر فان العقدة التأريخية التي كان يعاني منها تتمثل بالشعور بالاقصاء والتهميش منذ تاسيس الدولة العراقية والذي عززه عقود من الاغتيالات والاعتقالات التي مورست على يد نظام صدام، الا ان الشرخ الحقيقي بدأ في نهاية حرب الكويت هذه الحرب والتي هشمت كل شي في العراق والذي لم يعد عراقا بعد تلك الفترة. حيث إن ضرب الانتفاضة الشيعية وبكل قسوة في الجنوب، وضرب المكون الكردي وبكل قسوة أيضا بالشمال، خلق فجوة كبيرة بين الحكومة والمكونات الرئيسية في العراق، وهنا تأتي سلطة ثانية اقوي من سلطة الدولة والمتمثل بدول التحالف لحماية الأكراد من الدولة العراقية، ولأول مرة في تاريخ العراق، يظهر لدين اثلاث مكون ات في العراق تمثل عراق جديد وشخصية جديدة وولاء جديد، فلم

---

[١٦]شوان زولال ،تقسيم العراق ما هي احتمالية قيام دولة كردستان المستقلة ،مقال منشور بتاريخ ١٢-٠٧-٢٠١٢ على الرابط:http://www.niqash.org/ar/articles/politics/3087/

يعد الشيعي يحترم الولاء لحكومة المركز، ولم يعد الكردي يشعر بالولاء لحكومة المركز، إنما أصبح ولاء الشيعي لم كونه فقط، وولاء الكردي لم كونه فقط، في هذه الفترة حتى القوة لم تستطيع أعادة تشكيل كيان الفرد العراقي[١٧]

مع انهيار الدولة العراقية، بدأت هذه الأحزاب وقتئذ الاعتماد على الهويات دون الوطنية لاكتساب الشرعية. في هذه المرحلة، فقد تطلبت المنافسة الانتخابية كسب الشارع ومع ان اغلب النخب السياسية لم يكن لديها الرصيد الكافي لدخول هذه المنافسة فقد عمدت الى سلوك خطاب سياسي يقوم على استذكار التأريخ لتعزيز الشحن الطائفي والظهور بمظهر المدافع عن الطائفة او القومية فاعتمدوا على السرديات الطائفية وسياسات الهوية التي ظهرت في مواجهة الدولة المنهارة. باختصارت محصر التعبئة السياسية في هذه الخطوط الحزبية. وكانت المكاتب السياسية لهذه الأحزاب تتشكل من ذات الطائفة.

في الحقيقة ان ما جرى من احداث منذ عام ٢٠١٤ وسقوط ثلاث محافظات بيد الارهاب وما خلفه من انشقاق بين النخب السنية وما جرى بعد استفتاء اقليم كردستان من انشقاق بين النخب السياسية الكردية والانشقاقات التي تشهدها النخب الشيعية وظهور فضائح لمزاعم فساد مالي وسياسي قوضت المشروع الطائفي والقومي في العراق واظهرت الحاجة الفعلية لمشروع جديد يتخطى الاطر القومية والدينية والطائفية فقد برزت الحاجة لمرجعية سياسية جديدة تتخطى تلك الاطر الطائفية والقومية والفئوية. حيث كانت احداث ٢٠١٤ وما تلاها الضارة النافعة التي ولدت ضرورة اعادة التفكير في الخطاب السياسي العراقي وما هو الدر الذي ينبغي اعتماده في المرحلة القادمة.

---

[١٧] سلمان محمد شناوة، ما تبقى من الهوية الوطنية العراقية، الحوار المتمدن–العدد: ٢٩٨٣ – ٢٠١٠ / ٤ / ٢٢ ،الرابط : http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=212605

٣-١ المرجعية الدينية ودورها في تعزيز الهوية الوطنية

يزخر عالم اليوم بالعديد من الامثلة التي تعطينا دروسا تأريخية لشعوب مرت بأزمات مشابهة لما يمر به العراق اليوم ولعل في بعض الاحيان اسوأ من تلك التي نعيشها، تمثل ازمة الثقة[١٨] بين اطراف المجتمع السياسي من بين ابرز واسوأ المراحل التي تمر بها المجتمعات خلال مراحل العمل السياسي،اذا يعني ذلك ان الاطراف قد توصلت الى نقطة لا تتجاوز الاتفاقات الانية وان النكول باي اتفاق وارد وطبيعي فيسود مناخ الشك وتتغلب المصلحة الفئوية والحزبية على المصلحة العامة،لقد صاحبت هذه الظروف العديدمن تجارب التحول الديمقراطي حول العالم ،إلا أن الحل غالبا ما كان اما بتدخل خارجي او بفعل بروز شخصية عامة تستطيع لملمة الشتات وعبور الازمة ، ولعل التاريخ يتذكر دائما بولندا على انها كانت هي الدولة التي انطلقت منها شرارة التغيير التي اكتسحت بقية دول اوربا الشرقية، كما انها قدمت إنموذجا في التحول السلمي عبر الحوار الداخلي بين الحزب الشيوعي الحاكم وقوي المعارضة التي تزعمتها حركة تضامن العمالية الشهيرة بقيادة ليخفاونسا في بداية الثمانينيات، ويتفق غالبية الساسة البولنديين على ان نقطة التحول الحقيقية هناك بدأت مع تعيين أسقف مدينة كاركوف الكاردين الكارولفوجتيلا كرئيس للكنيسة الكاثوليكية في روما والذي اصبح لقبه بعد ذلك يوحنا بولس الثالث بابا الفاتيكان، والدور الذي لعبه البابا في مفاوضات المائدة المستديرة التي تمخض عنها لاحقا كتابة الدستور البولندي حيث تم عقد أول انتخابات محلية حرة في مايو١٩٩٠،لقد تمثل الدور السياسي الذي لعبته الكنيسة الكاثوليكية متمثلة بزعيمها البابا يوحنا بولس الثالث بهزيمة الفكر الشيوعي فلم تكن تملك الكنيسة انذاك اية جماعة مسلحة او مصدر للتمويل ومع ذلك فقد لعبت دور

[١٨] في كثير من الاحيان قد تكون ازمة الثقة نتيجة من نتائج ازمة الهوية انظر : صادق الاسود مصدر سبق ذكره ص٤١٥.

ايجابيا في عملية التحول ومقبولا من جميع الاطراف ففيينايرا ١٩٩٠ قام الحزب الشيوعي البولندي بحل نفسه وتغيير إسمه الي حزب الديمقراطية الاجتماعية لجمهورية بولندا[١٩].

وعلى هذا الاساس فإن التساؤل الذي يطرح هنا هل بالإمكان الإستفادة من تجربة بولندا في العراق؟ هل هنالك طرف اقليمي او محلي يستطيع ان يلعب الدور الذي لعبه بابا الفاتيكان في بولندا؟.

حقيقةولأسباب اقليمية ودولية ولأن العراق يقع في اقليم يعج بالمشاكل السياسية والامنية وغيرها فقد قللت هذه الظروف من جاذبية الطرف الاجنبي اذ انه من الصعب ايجاد طرف يتمتع بالحياد الكامل في ظل بيئة تعج بالتعقيد والتنافس.هنا برزت الحاجة الضرورية لخيار وطني يمتلك المقبولية الوطنيةمن جميع الاطراف[٢٠]، ولعل في استعراضنا للخطاب السياسي لمرجعية السيد السيستاني فيما يخص الشأن العراقي من السمات التي تؤهلها القيام بالدور الحيادي المطلوب،لذا سنحاول استعراض ابرز المحطات التي مر بها العراق وما هو موقف المرجعية الدينية منها اذ سنعمد الى تحليل النصوص الواردة عن المرجع الديني الاعلى السيد علي السيستاني في الشان العراقي .

٣-١-١الرؤية لمستقبل النظام السياسي في العراق

١- رفض ان يتولى اي رجل دين من اتباع المرجع اية مناصب تنفيذية او ادارية وانما يقتصر دورهم على التوجيه والارشاد للجان التي تتشكل داخل المناطق كما

---

[١٩] بلا اسم ،بولندا ....التجربة الأنجح في التحول إلي اقتصاد السوق والديمقراطية، مقال منشور بتاريخ١٥ ابريل ٢٠١٣، الرابط:http://www.elsyasi.com/article_detail.aspx?id=2278

وكذلك انظر :أمل مختار، الدين والتحول الديمقراطي في التجربة البولندية ن مقال منشور بتاريخ٢٤\٠٥\٢٠١٦،مجلة الديمقراطية،الموقع: http://democracy.ahram.org.eg/Index.aspx?IssueID=0

[٢٠] ابرز التجليات المعاصرة هو قبول الاكراد لمضامين بيان المرجع السيستاني والتي جاءت على لسان ممثل المرجعية الدينية في خطبة الجمعة ٢٩\ايلول ٢٠١٧ بالرغم من رفض المرجعية للتقسيم والتشديد على الحقوق الدستورية للاكراد.

واكد على ضرورة الحفاظ على المال العام وعدم جواز اي شكل من اشكال التجاوز عليه[٢١]

٢- ان الحكم في العراق يجب ان يكون للعراقيين بلا اي تسلط للاجنبي والعراقيون هم الذين لهم الحق في اختيار نوع النظام في العراق بلا تدخل للاجانب، اذ ترى المرجعية بانه ينبغي بجميع الحكومات ان تحترم سيادة العراق وارادة شعبه [٢٢].

٣-كما وراى انه ينبغي ان تجرى انتخابات عامه وان يشارك كل عراقي في انتخاب ممثليه في جمعية تأسيسية لكتابة ثم يطرح الدستور الذي يقره هذا المجلس للتصويت عليه وان المرجعية لا تمارس دور في السلطة والحكم.

٤-ضرورة ان يبنى ايّ اتفاق يستهدف انهاء الوجود الاجنبي[٢٣] في العراق واخراج البلد من تحت الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة على اساس امرين:

اولاً: رعاية المصالح العليا للشعب العراقي في حاضر هو مستقبله، وتتمثل بالدرجة الاساس في استعادة سيادته الكاملة وتحقيق امنه واستقراره.

وثانياً: حصول التوافق الوطني عليه، بأنين التأييد مختلف مكوّنات الشعب العراقي وقواه السياسية الرئيسة. وقد أكد سماحته على ان اي اتفاق لايلبّي هذين الأمرين وينتقص من سيادة العراق سياسياً او امنياً او اقتصادياً، او انه لايحظى بالتوافق الوطني فهو مما لا يمكن القبول به، وسيكون سببا في مزيد معاناة العراقيين والفرقة والاختلاف بينهم.

٣-١-٢ قبول التعددية الدينية والمذهبية ورفض الولاء للهويات دون الوطنية

لقد تمثل المنهج الذي اتبعته المرجعية الدينية منذ البداية على ضرورة الحفاظ على حقوق اهل السنة من خلال توجيه اتباعها بانها ترفض اي سلوك سلبي تجاه ابناء هذا المكون من خلال الاتي:

---

[٢١]حامد الخفاف، النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسالة العراقية، دار المؤرخ العربي بيروت لبنان ، الاستفتاءات ١و٣و٤ ،ص١٠-١٤

[٢٢]نفس المصدر، اسئلة وكالة الاسوشيتد برس الامريكية ، استفتاء رقم ٧، ص٢٠

[٢٣]بيان حول اتفاق انسحاب القوات الاجنبية من العراق ، موقع المرجع السيستاني، الرابط :https://www.sistani.org/arabic/statement/1507/

١- رفض اقتحام مساجد اهل السنة حيث وصف هذا العمل بانه مرفوض تماما ولابد من رفع التجاوز وتوفير الحماية لإمام الجماعة واعادته معزز مكرما[٢٤]

٢- التأكيد على رصّ الصفوف ونبذ الفرقة والابتعاد عن النعرات الطائفية والتجنّب عن إثارة الخلافات المذهبية، تلك الخلافات التي مضى عليها قرون متطاولة ولا يبدو سبيل الى حلّها بما يكون مرضيّاً ومقبولاً لدى الجميع، فلا ينبغي اذاً إثارة الجدل حولها خارج إطار البحث العلمي الرصين، ولاسيما انها لا تمسّ أصول الدين واركان العقيدة، فان الجميع يؤمن ونبالله الواحد الأحد وبرسالة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وبالمعاد وبكون القرآن الكريم الذي صانه الله تعالى من التحريف مع السنة النبوية الشريفة مصدراً للأحكاما لشرعية وبمودة أهل البيت عليهم السلام، ونحو ذلك مما يشترك فيها المسلم ونعامة ومنها دعائم الاسلام: الصلاة والصيام والحج وغيرها، فهذه المشتركات هي الاساس القويم للوحدة الاسلامية[٢٥]

٣- التشديد على وحدة الصف وتغليب الحس الوطني ينقل عن السيستاني قوله[٢٦] "أوصيكم بالحفاظ على وحدة العراق إياكم أن تعطوا الفرصة للأعداء كي يفرقوا بين العراقيين، وساعدوا إخوانكم المهجرين من مدن الموصل والرمادي وصلاح

---

[٢٤] حامد الخفاف، مصدر سبق ذكره ،استفتاء رقم ٣ سؤال٢.ص١٣.

[٢٥] مقطع من نص بيان مكتب سماحة السيد (دام ظله) حول الوحدة الاسلامية ونبذ الفتنة الطائفية ، بتاريخ٣\٢\٢٠٠٧ الرابط: http://www.sistani.org/files/stmnts,248.png

[٢٦] وصايا السيد السيستاني خلال لقائه وفدا من اطباء واساتذة الجامعات في النجف الاشرف، نقلته وكالة موازين نيوز تحت عنوان المرجعالسيستانييوصيبالحفاظعلىوحدةالعراق "موسع" بتاريخ ١٣-٠٦-٢٠١٦ الرابط:
http://www.mawazin.net/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%AC%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%B3%D8%AA%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D9%8A%D9%88%D8%B5%D9%8A-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%81%D8%A7%D8%B8-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D9%88%D8%AD%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82-%D9%85%D9%88%D8%B3%D8%B9/%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9
وكذلك انظر: نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد، كتيب ارشادي صادر عن مكتب السيد السيستاني ،النجف الاشرف،٢٢ربيع الاخر ١٤٣٦.

الدين وغيرها وقدمو الهم المأوى والمال والطعام دون أن تسألوهم هل هم شيعة أم سنة أم غير ذلك، فالسنة والشيعة والمسيحيون وغيرهم هم أهل العراق عاشوا سويةً في هذه الأرض من مئات وآلاف السنين" ويردف قائلا" عندما هجم داعش ومن يدفعهم على مدن العراق وقتلوا وعاثوا فساداً أفتيت بوجوب الدفاع عن النفس والمقدسات وجوباً كفائياً ضد الأجانب، وليس ضد العراقيين من إخواننا أهل السنة، وأنتم الآن حينما تقاتلون في الرمادي وغيرها إنما تقاتلون دفاعاً عن إخوانكم لكي تخلصو هم من داعش ولستم فاتحين بل تضحون بأرواحكم ودمائكم كي تنصروا إخوانكم ضد الدخلاء".

٣-١-٣ حقوق الأكراد

بالرغم من رفض المرجعية للتقسيم والتشديد على الحقوق الدستورية للاكراد فقد كان قبول الاكراد[٢٧] لمضامين بيان المرجع السيستاني والتي جاءت على لسان ممثل المرجعية الدينية في خطب الجمعة خير دليل على الدور الايجابي الذي تمثله المرجعية في الازمات حيث اكدت توصياتها بخصوص الازمة على ضرورة مايلي[٢٨].

١-عدم احتساب اعادة الانتشار للقوات الامنية العراقية في كركوك نصر الطرف وانكسار الاخر مع التأكيد على انه انتصار لكل العراقيين اذا ما تم استغلاله لمصلحة العراق وليس لمصالح فئوية او شخصية واذا استغلل ازدهار جميع المواطنين من العرب والأكراد والتركمان وغيرهم ويعيشوا بعضا مع بعض على ربوع هذه الأرض.

٢-ليس امام العراقيين فرصة لبناء غد افضل ينعمون فيه بالأمن والاستقرار الا مع تضافر جهود الجميع لحل المشاكل المتراكمة في السنوات الماضية على اسس العدل والانصاف والمساواة بين جميع العراقيين في الحقوق والواجبات وبناء الثقة بينهم بعيدا

---

[٢٧] نص بيان القيادة السياسية لكردستان العراق، الرابط:
http://www.kurdiu.org/index.php/ar/news/kurdistan/53769

[٢٨] خطبة الجمعة ٢٩-٠٩- ٢٠١٧ على لسان الصافي وكذلك خطبة الجمعة ٢٠-١٠-٢٠١٧، الرابط: http://www.sistani.org/arabic/in-news/25690/

عن النزعات التسلطية او الاثنية والطائفية والاحتكام إلى الدستور الذي يشكل بالرغم من نواقصه العقد الذي حظي بقبول العراقيين "فلابد من الاحتكام إلى الدستور.

٣-على القيادات والنخب السياسية العمل على تقوية اللحمة الوطنية والابتعاد عن التعاطي الانتقامي مع الاحداث الاخيرة وتخفيف التوتر في المناطق المشتركة وتسهيل عودة النازحين إلى بيوتهم والحفاظ على المصالح العامة والخاصة ومنع التعدي عليها ولجماية مظاهر توحي بالعنصرية والطائفية سواء بنشر مقاطع مصورة او صوتية او لافتات او شعارات او حرق صور او اعلام.

الخاتمة :

يمكننا القول ومن خلال مراجعتنا للخطاب السياسي لمرجعية السيد السيستاني منذ عام ٢٠٠٣ بانه خطاب قد استوفى متطلبات الحياد السياسي بالشكل الذي يجعله خطابا وطنيا عابرا للمصالح العرقية والدينية والطائفية والفؤية وبمايجعل منالممكن ان تلعب الدور الايجابي التي تتطلبه المرحلة المقبلة اذ يمكن ان نجد تجليات تلك الحيادية فيما يلي :

١- ان رفض المرجعية الدينية السماح لاتباعها من رجال الدين تسنم اية مناصب تنفيذية او ادارية في الحكومة العراقية يذكرنا بأعضاء الجمعية الوطنية الفرنسية الاولى التي حلت نفسها بعد كتابة دستور عام ١٧٩١، لذا فإن الحيادية تتطلب ان لا تكون طرفا فالمرجعية الدينية بقرارها هذا نأت بنفسها عن تنافس المصالح وصراع الارادات التي شهدتها تلك المرحلة كما انها لم تكن جزء من اي مساومة سياسية منذ تأسيس النظام السياسي الجديد.

٢- التركيز على دور المجتمع وقراراته في تحديد مستقبله السياسي حدد طبيعة العلاقة بين السلطة الدينية والسلطة السياسية فلم تجد لنفسها دور ابعد من النصح والارشاد .

٣- السمة الوطنية عند الحديث عن القضايا التي تخص الصالح العام فلم يشتمل خطابها على اية شكل من اشكال التحشيد المذهبي وبالتالي غلبت السمة الوطنية على كل السمات الدينية والطائفية فحتى عند اعلان فتوى الجهاد الكفائي فأن

المرجعية قد افتتحتها بالقول "على كل عراقي " ولم تقل على كل شيعي من اتباعنا وهذا دليل على رؤية المرجعية لضرورة تغليب الخطاب الوطني على الخطابات والولاءات دون الوطنية.

٤- التأكيد على ضرورة ان تكون هنالك توافقية وطنية في القرارات المصيرية .

٥- كل هذه العوامل وغيرها دفعت الكثير من الاطراف السياسية الى اللجوء الى المرجعية الدينية في حالات الضيق وعندما ترى انه من الممكن ان يقع عليها الظلم وهذا بمفرده دليل كاف على وطنية الخطاب السياسي لمرجعية السيستاني.

الملخص

يتضح مما سبق ، نجد في الخطب السياسية تغلب السمة الوطنية عند الحديث عن القضايا التي تخص الصالح العام فلم يشتمل خطابها على اية شكل من اشكال التحشيد المذهبي وبالتالي غلبت السمة الوطنية على كل السمات الدينية والطائفية فحتى عند اعلان فتوى الجهاد الكفائي فأن المرجعية قد افتتحتها بالقول "على كل عراقي " ولم تقل على كل شيعي من اتباعنا وهذا دليل على رؤية المرجعية لضرورة تغليب الخطاب الوطني على الخطابات والولاءات دون الوطنية.

Abstract

It is clear from the above, we find in the political speeches to overcome the national attribute when talking about issues that concern the public interest did not include the speech on any form of sectarian mobilization and thus overcome the national character on all religious and sectarian characteristics even even when the declaration of the doctrine of Jihad, To every Iraqi "and did not say to every Shiite of our followers and this is evidence of the vision of the reference to the need to give priority to the national discourse on subnational speeches and loyalties.